الفصل السابع

إمارة المُورة الفرنسية ودوقيّة أثينا

گيّوم دى شامپليت
وگيوفروا الأول دى ڤيلاردوان

عقب تأسيس الإمبراطورية اللاتينية ، قام بارونان فرنسيان من شامپانيا ، هما گيوم دى شامپليت Guillaume de Champlitte وگيوفروا دى ڤيلاردوان Geoffroi de Villehardouin (والثاني هو قائد لقوات الأول) بانتزاع البيلوپونيز أو المورة la Morée كما كان يدعوها الفرنجة من أيدي اليونان (1206 م) .

وببضعة مئات من الخيالة ، استولوا على آخايا (باحتلال پاتراس Patras) وإليدا (احتلال أندراڤيدا التي أضحى أسمها «أندرڤيل» Andreville) واحتلال پونتيكوگاسترون التي أضحت تسمى «بوڤوار» Beauvoir) ، واستولوا كذلك على مسينيا (باحتلال كالاماتا وأركاديا) ، باستثناء مينائي مودون وكورون المسينيّين اللذي بقيا في أيدي البنادقة . على هذا النحو ، قامت إمارة المورة أو آخايا ، التي صار گيّوم دى شامپليت حاكمها الأول (1205–1209 م) .

ولما آب گيّوم دى شامپليت إلى فرنسا (في أيار 1209 م) ، حلّ محلّه زميله گيوفروا دى ڤيلاردوان – أو گيوفروا الأول – بصفة بايل Baïle أي كوصي على الإمارة (1209–1210 م) ، ثم خلفه في منصبه هذا كأمير لها (1210–1218 م) .

واستأنف گيوفروا الأول أعمال شامپليت بأن انتزع من اليونان لاكونيا وكانتونات أركاديا المجاورات (باحتلال لاسيديمون التي سميّت «كريمونيا» la Crémonie عام 1210 م) ، وبعدها قلاع كورنثا (في عام 1210 أيضاً) ونوپلي وأرگوس (عام 1212) . ولم يعد بأيدي اليونان في البيلوپونيز (حتى عام 1248) غير ميناء مونيمڤازيا (أو «مالڤوازي» Malvoisie) .

قام گيوفروا أثناء ذلك بتنظيم البلاد ، واعتباراً من عام 1209 ضم أندراڤيدا (أو «أندرڤيل») من أعملا أليدا ، وهي المدينة التي لعبت دور العاصمة للإمارة ، أو «المحكمة العليا» parlement حيث وُضعت قائمة الإقطاعات في المورة ، وهذه الإقطاعات حُدِّدت نظرياً باثني عشر ، وفق تقاليد النظام الكارولنجي . ومُنح كلٌّ من هذه الإقطاعات إلى أسرة حاكمة فرنسية .

كان مركز الإمارة إليدا ، البلد الذي وافقت مروجه الخضراء أهواء طبقة الفرسان الغزاة . أضف إلى ذلك أن گيوفروا الأول عرف ، بسياسة مرسومة بحنكة ، كيف يحقق انضواء عناصر السكان اليونان المحليين . ولقد تم ترك قسم من الأراضي لليونان ، بينما أُدخل كبار ملاّك الأراضي (الأرخونتس) *les archontes* في السلك الإقطاعي . ولقد رُوعيت الأديرة الأرثوذوكسية على وجه العموم .

گيوفروا الثاني وگيّوم دى ڤيلاردوان

خلف گيوفروا الأول في الحكم ابنه البكر گيوفروا الثاني Geoffroi II ، أميراً للمورة من عام 1218 إلى عام 1245 . وقام گيوفروا الثاني بإشادة قلعة «كليرمون» Clairmont الساحلية في إليدا حيث سيطرت بموقعها على البحر الإيوني . وفي عام 1236 أغاث بنجاح إمبراطور القسطنطينية اللاتيني بودوان الثاني لما حاصره اليونان والبلغار ، وقام بترسيخ الاستيطان الفرنجي في إمارته عن طريق استجلاب العديد من الفرسان إلى المورة ، من الشامپانيين والبورگينيين والكونتيين . ثم تلاه في سدّة الحكم شقيقه گيّوم دى ڤيلاردوان Guillaume de Villehardouin (1245–1278 م) .

استكمل گيّوم أعمال سابقيه بأن انتزع من اليونان معقلهم الأخير في البيلوپونيز (المورَة) ، وهو ميناء مونيمڤازيا (عام 1248 م) . وبغاية الضرب على أيدي الجبليين اليونان أو عبيد لاكونيا ، قام بإنشاء قلعة ميسترا Mistra (1249 م) وقلعة گران مانْيْ Grand Magne (1250 م) وقلعة بوفور[1] Beaufort (لوكترون Leuktron) (1251 م) .

---

(1) هي غير قلعة بوفور (شقيف أرنون) في جنوب لبنان إلى الشمال الشرقي من صور .

وفي الخارج انضم إلى الملك لويس التاسع في حملته الصليبية ضد مصر (1249) . وقد حارب كذلك في أوبيه Eubée (أي «نيگرپون» Nègrepont) ضد إقطاعيي الجزيرة الإيطاليين «المثاليث» *les terciers* وضد حُماتهم البنادقة (1256-1258 م) .

وأخيراً ، كان عليه كسر تحالف بارونات الهيلاّد الأوسط l'Hellade ، وهم گي الأول دى لاروش Guy I^er de la Roche ، سيد أثينا وطيبة ، وتوما دى سترومونكور Thomas de Stromoncourt ، سيد سالون (أمفيسا) وأوبيرتينو پالاڤيتشيني Ubertino Pallavicini ، مركيز پودونيتزا (ترموپيل) . ولقد كسرهم عند جيل كاريدي Karydi (عام 1258 م) ، وأرغمهم على تجديد الاعتراف بسيادته .

كان گيوّم دى ڤيلاردوان آنذاك في أوج قوته ، وكانت كل بلاد اليونان الفرانكو إيطالية معترفة به حاكماً مطلقاً ، عندما مضى يقدّم العون لحميّه طاغيه إپيرا اليوناني ، وحارب في مقدونيا العليا ضد قوات يونانية أخرى ، وتلك هي قوات الإمبراطور ميخائيل پاليولوگوس . وكانت نتيجة هذه الحملة أن هُزم وأُخذ أسيراً في كاستوريا ، في پيلاگونيا (تشرين الأول 1259 م) .

ولم يرض ميخائيل پاليولوگوس بالإفراج عنه إلا بمقابل تنازله عن أربع قلاع كبرى في لاكونيا : مونيمڤازيا ، وكيراكي ، وميسترا ، وگران مانْيْ (بموجب معاهدة القسطنطينية عام 1262 م) . ولم يكن ذلك ينطوي على مجرد عودة البيزنطيين إلى البيلوپونيز ، ولكن گيوّم دى ڤيلاردوان كان قد سلّم بذلك «مفاتيح داره» .

لم يتح لگيوّم على الإطلاق استعادة قلاعه الأربع الضائعة من البيزنطيين . وبغاية الحصول على دعم خارجي ، أعلن نفسه تابعاً لملك صقلية شارل دانجو Charles d'Anjou (1267 م) وخُطبت ابنته ووريثته إيزابيل لابن هذا الملك . بنتيجة ذلك واعتباراً من هذا اليوم ، لم تعد إمارة المورة أكثر من تابعة للمملكة الإيطالنجوية[1] .

---

(1) أي المملكة الإيطالية الأنجوية le royaume italo-anjevin ، ومثل هذا الأسلوب اللغوي في نحت المفردات والمصطلحات وارد في لغات أوروبا ، غير أنه لا يستقيم في العربية .

دوقيّة أثينا الفرنسية

أُسِّست إقطاعية أثينا وطيبة الفرنسية ، كما رأينا ، على يدي الصليبي الكونتي[1] أوتّون دى لاروش Otton de la Roche (1205–1225 م) . ورأينا كذلك كيف وقف خليفة أوتّون وهو ابن أخيه گي الأول Guy I^er (1225–1263 م) في وجه أمير المورة گيوم دى ڤيلاردوان ، ولكنه إذ هُزم في كاريدي (عام 1258 م) فقد اضطر للإذعان لتبعية الأمير . واعتباراً من عام 1260 م ، اتخذ گي الأول لقب دوق ، ثم خلفه كل من ابنيه جان Jean de la Roche (1263–1280 م) ، وگيّوم Guillaume دى لاروش (1280–1287 م) ، وبعدهما گي الثاني (1287–1308 م) ، وهو ابن گيّوم .

وكانت حظوة دوقات أثينا الثلاثة هؤلاء عظيمة ، ولقد مارسوا بناءً على صلات القربى (لأن كل الفرنجة كانوا يتزوجون عن رضى من أميرات يونانيات) ، وصاية حقيقية على الحكومة اليونانية الاستبدادية في «ڤالاخيا الكبرى» أي تساليا . وكان بلاطهم ، مثله في ذلك مثل المورة ، بؤرة جيّاشة للثقافة الفرنسية . ولقد اشتهر من بين هؤلاء گي الثاني Guy II عند كُتّاب التاريخ ، كبطل لروايات الفروسية ، مغرم بالمنافسات والمبارزات .

خلف گي في الحكم ابن عمه گوتييه الخامس دى بريين (1308–1311 م) Gautier V de Brienne ، وارتكب گوتييه هذا غلطة بالغة بإيوائه في دوقيّته «السريّة الكبرى» la grande compagnie القطلانية المشهورة التي كانت تحارب في آسيا الصغرى لصالح البيزنطيين ثم في تراقيا وفي مقدونية ضد البيزنطيين أنفسهم . ولما ضاقت به الأمور من تجاوزات هؤلاء الرعاع ، عمل على طردهم ، ولكنهم هزموه وقتلوه على ضفاف بحيرة كوپاييس Copaïs في بيوتيا Béotie (15 آذار 1311 م) . وهلك في هذه الكارثة جميع أفراد طبقة الفرسان الفرنسية تقريباً .

وكان مصير دوقية أثينا وطيبة أن سقطت هكذا مرة واحدة في قبضة القطلانيين ، الذين جعلوا منها شكلاً من جمهورية عسكرية تحت الحكم الاسمي لملوك صقلية الأراگونيين . ولقد بقوا على ذلك في البلاد من عام 1311 حتى 1387 م .

---

(1) كونتي comtois : نسبة إلى مقاطعة كونتيه comté في شرق فرنسا .

في إمارة المورة كما الحال في قبرص ، كان للتاج «الأسبقية على طبقة الإقطاع» ، طالما أن توزيع الإقطاعات الإثني عشر كان منوطاً بالأمير . إلا أن هذا الأمير ، لدى تسنّمه السلطة ، كان عليه كما هو الحال بالنسبة لملوك القدس أو قبرص ، أن يُقسم اليمين أمام المُقطَعين المتحدين في المحكمة العليا Haute Cour والذين عليه احترام حصاناتهم و«حقوقهم» . فلم يكن بوسعه أن يدين مُقطعاً ، أو أن يتنازل عن قطعة من الأرض ، إلخ ، إلا بعد موافقة المحكمة العليا .

وكان على المُقطعين بالمقابل أن يؤدّوا له الخدمة العسكرية ، وأن يدينوا له بالولاء ، وإلا فإن له الحق بإدانتهم أمام المحكمة العليا (كما فعل گيّوم دى ڤيلاردوان Guillaume de Villehardouin عام 1258 م بگيوفروا دى برويّير Geoffroi de Bruyère سيّد كاريتينا Karytaina ، وحتى بسيّد أثينا گي الأول دى لاروش) .

هذا وإن «العُرف» الذي ساد في الإمارة وفق هذه القواعد قد وُضع في دواوين رومية *Assises de Romanie* ، وقد دوّن نص هذا العرف بشكله الفعلي قرابة عام (1320) .

كانت مواقف أمراء المورة الفرنجيين تجاه السكان اليونان بشكل عام على قدر كاف من التسامح ، ورأينا كيف أن غالبية طبقة «الأرخونت» أو الإقطاعيين اليونان قد أُبقيت لهم إقطاعاتهم الزراعية *latifundia* . وقد تم الاعتراف بحقوق هؤلاء الإقطاعيين المحليين في المؤتمرات ، جنباً إلى جنب مع الإقطاعية الفرنسية . يضاف إلى ذلك أن الزيجات بين الغزاة والسكان الأصليين كانت تتكرر مراراً ، وكان المولّدون من آباء فرنجيين وأمهات يونانيات يُعرفون اصطلاحاً باسم الگاسمول *gasmules* .

ازدهرت الحضارة الفرنسية في القرن الثالث عشر بزخم في المورة تحت حكم آل ڤيلاردوان كما ازدهرت في أتيكا تحت آل لاروش . «كان أمراء المورة – يقول المؤرخ مونتانيه – يخطبون نساءً من أعرق الأسر في فرنسا وكان من ذلك البارونات والفرسان . وكذلك كان يُقال إن أنبل فئات الفرسان في فرنسا كانوا فرسان المورة وكانت تُحكى فيها الفرنسية بنفس الجودة التي تحكى بها في پاريس» .

وينبغي الرجوع إلى «تاريخ المورة» la Chronique de Morée وقراءة أخبار حفلات الاستقبال ومباريات الفروسية في «مجلس العموم» بكورنثا عام 1304 م . وكان النموذج الأمثل لشعائر الفروسية المتمثلة في هذا المجتمع يتجسّد أثناء حكم گيوم دى ڤيلاردوان (1245–1278 م) في شخصية رجل يدعى گيوفروا دى بروييّر سيد كاريتينا ، الذي كان فارساً مغامراً خارقاً ومحارباً لا يعرف الجزع ، فضلاً عن أنه كان طائشاً ولا يتورّع عن الكثير من الأعمال اللاعقلانية ؛ وفي الواقع ، كان ذاك هو «سيد كارينتين» le sire de Caraitaine الذي اقتاد عام 1259 م كل طبقة الفرسان هذه إلى كارثة كاستوريا التي تذكّرنا بمعركتي كريسي وآزينكور[1] .

ومن أعمال الأدب الفرنسي كتاب «تاريخ غزاة القسطنطينية» *l'Histoire de la Conquète de Constantinople* الذي ألّفه ماريشال رومية گيوفروا دى ڤيلاردوان ، عمّ أمير المورة الثاني وسميّه في نفس الوقت ؛ تم تدوين هذا التاريخ على يد ذاك الصليبي الشهير في مقاطعته التراقيّة ما بين عامي 1212 و 1218 م . وكذلك لدينا «تاريخ المورة» *la Chronique de Morée* ، المكتوب بالفرنسية بين عامي 1341 و 1346 م ، بالاعتماد على تأريخ إيطالي سابق له .

أما في مجال فن العمارة ، فلنذكر كمثال على الفن «القوطي الموري» كنيسة هيپاپاندي l'Hypapandi والدير السيسترسياني[2] في دافني Daphni ، وكلاهما في إقليم أتيكا .

كائناً ما كان الازدهار الذي اتصف به هذا المجتمع ، فإن الاستيطان الفرنسي في إمارة المورة ، كما في دوقية أثينا ، اقتصر دوماً على مهاجرة البارونات والفرسان . وإذ تضعضع بقوة في المورة إثر كارثة كاستوريا (1259 م) وأُنهك إلى الغاية في دوقيّة أثينا إثر كارثة بحيرة كوپاييس (1311 م) ، فلم يعد في وسع هذا الاستيطان أبداً إيقاف المدّ الإسپاني في أتيكا والمدّ الإيطالي في البيلوپونيز .

---

(1) معركتا كريسي Crécy وآزينكور Azincourt ، جرتا بين الفرنسيين والإنكليز في خضمّ حرب المائة عام ، وقد مني فيهما الفرنسيون بهزيمة ساحقة ، كانت الأولى منهما عام 1364 والثانية 1415 م .

(2) بالفرنسية : le couvent cistersien ، نسبة إلى طائفة «سيتو» Cîteaux ، وهو دير قرب ديجون بفرنسا ، وهذه الطائفة هي أخوية من الرهبان البندكتيين التابعين لدير سيتو المذكور .